إحالات الواقع الديستوبي الجزائري كمشترك إنساني من خلال الشّخوص الرّوائية في رواية "سلالم ترولار" لسمير قسيمي" - رؤية استشرافية-

The Referrals of the Algerian dystopian reality as a common human through the narrative characters in the novel "Trollar Ladders" by Samir Kassimy - a forward-looking vision -

تاريخ الاستلام : 2022/10/23 ؛ **تاريخ القبول :** 2022/12/04

[1] * دعاء غلة ملغيد

[2] د.سعاد ترشاق

1 مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر.

2 جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر.

ملخص

يحضر المشترك الإنساني في النّصّ الرّوائيّ الجزائريّ المعاصر بشكل لافت، وقد أولاه الباحثون أهميّة كبيرة، لما يحمله من أبعاد تحيل على الواقع المعيش ليس في حدود القوميّة والمحليّة فقط، بل لأنّ قضاياه ترتقي لمصاف العالميّة، ومن الأدباء الّذين يعد خطابهم رسالة مؤسّسة لأفكار المشترك الإنسانيّ الأديب **"سمير قسيمي"** الّذي أحيل بطرحه إلى العالميّة، حيث رسم من الواقع كمرجع مختلف وأجرء اللّوحات في كافة الأصعدة فساهم بذلك في تلطيخ صور الوهم الإنسانيّ الفاضل في الحياة وذلك من خلال روايته **"سلالم ترولار"** الّذي أحالنا بواسطتها لمختلف العوالم وخلفيّاتها وانعكاساتها الّتي فرضت الواقع الدّيستوبي الّذي لا يمثّل حكرا على الجزائر فقط، بل انعكاسا لكثير من البلدان في العالم، معتمدا في تصويره مختلف تمظهرات المشترك الإنسانيّ على منظور عجائبيّ فانتازيّ ساخر فذّ، إنّنا نروم في هذا المقال معالجة هاته القضيّة عبر إسقاطها على الشّخوص الرّوائيّة كمرجع يحيل من خلال تشكّله على مختلف مستويات الواقع الجزائريّ.

الكلمات المفتاحية: الإحالة ؛ المُشترك الإنسانيّ ؛ الديستوبيا ؛ الشّخوص ؛ الرواية ؛ سلالم ترولار ؛ سمير قسيمي.

Abstract

The human common in the contemporary Algerian novelist text is remarkable, and the researchers have attached great importance to it, because of the dimensions it bears that refer to the lived reality not only within the national and local boundaries, but also because its issues rise to the ranks of the world, and among the writers whose speech was a founding message for the ideas of the common human literary Samir Qasimi, whose presentation was referred to the world, he contributed to blurring the images of the virtuous human illusion in life, through his novel “Troller’s Ladders”, which he referred us to the various worlds, their backgrounds and reflections that imposed the dystopian reality Which is not restricted to Algeria only, but rather a reflection of many countries in the world, relying in its depiction of the various manifestations of the human common on a unique, cynical, fantastical perspective.

Keywords: Referral; The Common Humanity ; dystopia ; Characters ; Novel ; Trolar Stairs ; Samir Kassimy.

Résumé

Le commun humain dans le texte romancier algérien contemporain est remarquable, et les chercheurs lui ont attaché une grande importance, en raison des dimensions qu'il porte et qui renvoient à la réalité vécue non seulement à l'intérieur des frontières nationales et locales, mais aussi parce que ses enjeux relèvent des rangs du monde, et parmi les écrivains dont le discours est un message fondateur des idées du littéraires humaines communes. Samir Qasimi, dont la présentation été renvoyée au monde, où il a puisé dans la réalité comme une référence différente, il a ainsi contribué à brouiller les images de l'illusion humaine vertueuse dans la vie, à travers son roman "Troller's Ladders", à travers lequel il nous a renvoyés aux différents mondes, qui ont imposé la réalité dystopique qui ne se limite pas à L'Algérie seulement, mais plutôt le reflet de nombreux pays dans le monde.

Mots clés: référence; commun humanité; dystopie; personnages; roman ; échelles trolar; Samir Kassimy.

* Corresponding author, e-mail: do.melghid@univ-setif2.dz

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2022.

I - مقدمة

إنّ أوضاع العصر ومتغيّراته تفرض الحديث عن السّياسة وما تبعها من دين واقتصاد وتاريخ وهوية، فلا ننكر سيادتها ومدى تحكمها في حياة الفرد ومصير الشّعوب، ولا بد من الإقرار كذلك أنّها مشترك إنساني قد أولاه الباحثون أهميّة كبيرة، لما يحمله من أبعاد تحيل على الواقع المعيش، وقد مثّلته كثير من الفنون السّرديّة، على رأسها الرّواية المعاصرة، حيث استمدّت طاقتها السّرديّة من مختلف القضايا الإنسانية الواقعيّة، عبرت الرّواية الجزائريّة المعاصرة عن الواقع الإنسانيّ بصورة جريئة، حيث عمدت إلى تعرية الحياة الإنسانيّة من الصورة المثاليّة، ورجّحت الكفّة لصالح بعض المشتركات الإنسانية السّلبية ليس في الواقع الجزائري فقط بل الواقع الإنساني أجمع، ومن النّماذج الجزائريّة المعاصرة التي عالجت هذا الطّرح وتفنّنت في تشريح الواقع الإنساني الجزائري على مختلف أصعدته الأديب **"سمير قسيمي"** من خلال روايته **"سلالم تروﻻر"**، وفي هذا المقال سنسعى إلى البحث عن مختلف إحالات الواقع الديستوبي الجزائري بوصفه مشتركا إنسانيا نجده في هذه الرّواية، رغبة في توجيه عدسات الدراسة نحو فضاءات جديدة بعيدة تحيل عن القيم والأبعاد الإنسانية الإيجابية المشتركة، فضاءات رغم ديستوبيّتها إلاّ أنّها مشترك إنساني مؤلم، وقد رُسم مسار تحليلنا انطلاقا من دراسات سابقة لهاته الرّواية مهدت الطّريق لبلورة أفكار مقالنا، محاولين أن تكتسي دراستنا حلّة مخالفة عما التزمت به بقية الدراسات، ككتاب(مداخل إلى الخطاب الإحالي في الرواية) لمحمد الخبو، ودراسة أسماء رمضان المعنونة بـ ("رواية "سلالم تروﻻر".. إعادة كتابة التاريخ الجزائري عبر الفانتازيا")، ودراسة "عبد الغني بن بوزيد. (رواية سلالم تروﻻر مانفيستو سياسي بسرد أدبي مهمش")، وكذا كتاب راغب السرجاني (المشترك الإنساني نظرية جديدة للتقارب بين الشّعوب)، وبذلك تطرح الإشكالية نفسها هنا بإلحاح: كيف يحيل الواقع الجزائري الديستوبي في هذه الرّواية على الواقع كمرجع إنساني عالمي؟ وهل نجح سمير قسيمي في بناء خطاب روائي إنساني بامتياز انطلاقا من الإحالة على وقائع اقتصاديّة وسياسية وتاريخية ودينية جزائرية؟ وستكون الدّراسة وفق مقاربة سيكوسوسيولوجية إذ قمنا بتتبّع وهم المثاليّة لمختلف القيم والوقائع الإنسانيّة من خلال تحليل شخوص الرّواية كمرجع سرديّ اعتمده الكاتب كترميز لعكس قبح الواقع من خلال تحليل جانبها الاجتماعي والنّفسي في بعض مساراتها.

1-المشترك الإنساني والإحالة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة:

يعدّ المشترك الإنساني تلك البذرة الفريدة التي تختبئ في أعماق كل إنسان بحيث تكون شيئا مشتركا بين الجميع، هي بذرة الإنسانية حيث "لا يعيش الإنسان بمفرده على ظهر هذا الكوكب.. إنّما يُشارك غيره من البشر الذين ينتشرون في معظم اليابسة...فإنّه كان لزاما على الإنسان أن يتعامل مع غيره من البشر، الذين يكملون له نقصه ونقص بيئته...ولا تستقيم حياة شعب دون شعب"[1]، فهذا الاشتراك يكسر حدود القومية والمحلية ليصل للعالمية، وهو من المواضيع التي يجسدها الأدب والفن كذلك، بالخصوص فن الرواية، فحين يكتب الأديب ليس لغرض الشهرة والنشر، بل يكتب ليوصل رسالة إنسانية تعكس صدى ذوات من مختلف بقاع العالم، فـ"الرّواية العالمية تعني تأكيد أهلية الأدب لتمثيل العالم، وتنشأ ليس من رغبة الكتاب في المقابل المادي، بل من تأثير الحياة في عصر عالمي ومن إمكانية الخيال للتكيف مع الحياة وتعرية الإنسانية أمام نفسها"[2] فهي رسالة يجمعهم فيها ألم واحد أو أمل أو هوية واحدة، بل

حتى واقع يُرغب في تغييره أو تجاوزه أو فضحه، أي هدف واحد، "فعلاقة الرواية بقضايا الإنسان ليست علاقة جزئية، فالإنسان ليس جزءا من السّرد الرّوائي فقط... بل هو موضوع الرّواية، والرّواية تحكي عن الإنسان، حتى لو كان سردها خياليا أو تاريخيا أو أسطوريا، بجانب السّرد الواقعي والاجتماعي، فالإنسان حاضر في الموضوع والطرح، وفي الخطاب والرؤية، وفي تصوير الشخصيات، وسرد الأحداث، بما يجعلنا نجزم أن الرواية هي انعكاس للإنسان في حركاته وسكناته، ومشكلاته وأحلامه."[3] فالرّواية قالب من القوالب الحاملة والدّاعية للمشترك الإنساني في زمن، "غدت فيه الكتابة الروائية لا تكتفي بمجرّد سرد حكايات شخصياتها، وتتبع ما يأتون به من أحداث وحسب، وإنّما تعمل على تقديم حكاية وعي الكاتب نفسه في محاولته لاكتشاف ذاته ومساءلة أدوات وطرائق إبداعه، بما يجعل الكتابة نوعا من اللعب المبدع الواعي المختفي بالكتابة ذاتها على حساب المكتوب عنه"[4]

وبهذا تكون الرّواية جنسا أدبيا متميّزا للتعبير عن الحاضر، بل هي وصف لحالة الذّات والمجتمع والعالم، فتغدو الرّواية مجالا شاسعا تحيل على مختلف المرجعيات الواقعيّة وغير الواقعيّة، فـ"يؤدي النظام الإحالي داخل الرواية عدة وظائف تواصلية تبعا لمقصدية الكاتب، فالإحالة ليست أداة لغوية تربط أجزاء النص فحسب، وتسهم في تشكله وإطالته، وإنما هي بالأساس نتاج ذهني إبداعي من الكتاب، تستهدف بشكل غير مباشر بناء تصور إدراكي لدى الآخر؛ حيث تقوم الإحالة على مبدأ رئيسي هو مبدأ (التناسب)؛ أي تناسب الإحالة التي ينشئها المبدع مع المخزون المعرفي للإحالات في وعي المتلقي"[5].

وبذلك تنشأ علاقة تواصليّة بين الكاتب والقارئ فتصبح "الإحالة عملية تواصلية مشتركة بين كل من الكاتب والقارئ تحقق وظائف تواصلية متعددة، منها التعبير عن الأفكار أو المشاعر، او تقديم فكرة جديدة او تأكيد فكرة ما أو دحضها، أو معارضتها، من خلال حركتها المستمرّة داخل النّص وديمومتها. فتسهم هذه العملية داخل الخطابات الإبداعيّة في تحقيق التّفاعل بين تصوّر الكُتّاب، وإدراك المتلقين، على نحو تدريجي ومستمر، كما تسهم في تشكيل الوعي التواصلي بين أفراد المجتمع على نحو ما، وربما تؤدي إلى تغييره في بعض الأحايين"[6].

على غرار ما نجده في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، حيث وسمت أحداثها بقيم وقضايا إنسانية وظّفت الواقع كمرجع أساس وارتبطت به ارتباطا وثيقا حتى لو عبّرت عنه بشكل تخييلي عجائبي، واقعا لا نقول جزائريا عربيا فقط، بل عالميا في أحايين كثيرة من أجل هذا "لا يمكن فهم القضايا الإنسانية في الرّواية، دون العودة إلى الواقع السّياسي والثّقافي والمعرفي والحضاري، ودون التّعرض إلى المشكلات الاجتماعية والمجتمعية، ودراسة خصوصية المكان، وما حملته الحقب الزّمنية من تغييرات."[7]

فتتميّز بذلك الإحالة بسمة أخرى في النّص الرّوائي، "ألا وهي (التّنامي) تبعا لخصوصيّة ذلك النّص. فالإحالة ليست ثابتة، بل متغيّرة، ممّا يسهم في الكشف عن سمات الشّخصيّات داخل العمل الرّوائي، وأطوارها المتغيّرة التي تمّ بها على المستوى الفيزيقي، أو على المستوى الفكري، أو على المستوى الوجداني، فتعدّ الإحالة وسيلة

بناء سرديّة؛ لإدخال معلومات جديدة عن المرجع/المراجع المستخدمة في النّص".[8] يضاف إلى ذلك أنّ معنى الرّواية الخاص "يرتبط بالحكاية التي تحكيها، وأنّ هذه الأخيرة لا تكتسب طابعها الحقيقي إلا بروائيتها أي بالفني فيها، لذا يبدو الحقيقي بنسيجه الرّوائي أثرا لمرجع تحيل عليه الرّواية وترتقي به، في الوقت نفسه، إلى ما هو أبعد من هذا المرجع، أي؛ إلى ما هو إنساني عام."[9]ومن خلال نموذج روائي جزائري معاصر، الكاتب "سمير قسيمي" في روايته "سلالم ترولار"[10].

نروم إلى استنباط مختلف القضايا الإنسانية التي قد يشترك فيها العالم كلّه والتي خوّلت لهاته الرّواية الترشّح لجائزة البوكر العربية العالمية. فالرواية أكثر نُظم التّمثيل اللّغوية قدرة على "إعادة تشكيل المرجعيات الواقعيّة والثقافية وإدراجها في السّياقات النصيّة، وأقدرها على تشييد عوالم متخيّلة توهم المتلقي بأنّها نظيرة العوالم الحقيقيّة، يعاد تركيبها بما يوافق حاجاته الفنيّة، ووظيفتها التمثيلة"[11]، وبهذا تكون الرواية قد "تخطت مسألة تثبيت أركان العوامل التي تحيل عليها، وتكون أمينة في التعبير عن قيمها الثقافية بما يجعلها تتدرج في علاقة محاكاة لها."[12] فكيف تجسدت إحالات الواقع الديستوبي الجزائري كمشترك إنساني من خلال الشّخوص الرّوائية في رواية "سلالم ترولار" لـ"سمير قسيمي"؟

2-إحالات الواقع الديستوبي الجزائري كمشترك إنساني من خلال الشّخوص الرّوائية في رواية "سلالم ترولار" لسمير قسيمي" – رؤية استشرافية-:

يتشكّل الفضاء الرّوائي من "عدد من الأنساق والعناصر الّتي يؤدّي كلّ واحد منها دوره فيه، ولعلّ الشّخوص من أبرز العناصر الرّوائية الّتي تؤدّي دوراً فاعلاً في بيان ملامح الفضاء الرّوائي"[13]، بل ذهب جورج ماتور" G.Mator"، إلى أنّ "الإنسان غير منفصل عن فضائه، بل إنّه هذا الفضاء ذاته"[14]، وقد عمد الأدباء المعاصرون إلى ربط شخصياتهم الرّوائيّة بالواقع الذي يريدون رسمه، فأضحت كل شخصية بمختلف أبعادها انعكاسا لواقع خاص بمدينة أو وطن أو قضية او مشترك إنساني.

ولذلك أصبح السّرد شديد الالتحام بالشّخوص الرّوائيّة، لأنّ الرّواية " لم تقرن نفسها بحقيقة مطلقة، ولم توقر بصورة كاملة عالما ثابتا، فتمثيلها المتنوع للعالم والذي لا يخضع لمعايير ثابتة، جعلها نوعا سرديا حيا يتبادل استشفافات لا نهائية مع المغذيات المحيطة به، سواء أكانت مرجعيات حقيقة كالوقائع والأحداث، أم ثقافية كالأنظمة الفكرية والعقائدية والأخلاقية والاجتماعية، وأقامت رهانات على العلاقات التفاعلية والتواصلية بين العوالم الخارجية و العوالم النصية، على سبيل التمثيل السردي؛ تمثيلا يعاذ فيه إنتاج المرجعيات وفق أنساق متصلة بشروط النوع الأدبي، و مقتضيات الخصائص النصية، وليس امتثالا لحقيقة المرجع."[15]

ويراهن الرّوائيون اليوم على جعل الواقع مرجعا وامتدادا للشّخصية والحدث فيعكس جانبا من نفسيّتها ومواقفها من ذاتها ومن العالم الّتي تحيا فيه حتّى "يتحوّل في هذه

الحالة إلى مُحاور حقيقي ويقتحم عالم السّرد محرّرا نفسه هكذا من أغلال الوصف"[16]، وهذا ما نلمسه في رواية "سلالم تروﻻر" لـ"سمير قسيمي"، حيث جسّد الكاتب من خلال شخصياته حيثيات الواقع الجزائري، وليس أي واقع بل الواقع الديستوبي الذي لا يعلم به إلاّ كلّ مواطن جزائري ذاق مرارته، وقد يشترك فيه كلّ إنسان على وجه الأرض، حيث أعطى نماذج حيّة عن مختلف إحالات هذا المشترك الإنساني السّلبي، وفي العناصر الآتية صورة أوضح لهذا المشترك على مختلف مستوياته.

1.2.الواقع السّياسي الجزائري والإحالة على وهم الحريّة في رواية "سلالم تروﻻر":

إنّ الواقع السّياسي أو السياسة هو" تنظيم المجتمع وتحقيق وحدته وتدعيمها، وخلق المؤسسات التي تقوم عليها، وإعطاءه هيكليات وبنيات محدّدة، وسنّ القوانين والقواعد الحقوقية التي يرتكز عليها وتطبيقها"[17]، فهي نشاط إنساني اجتماعي يهدف إلى تنظيم حياة الناس وحفظ حقوقهم وضبط سلوكاتهم من أجل أمنهم وسلامتهم، وهذا الهدف المفروض تحقيقه من طرف السياسة، غير أنّ الواقع السياسي الجزائري في فترة ما كان شيئا آخر.

فالمنظور الروائي القسيمي يعطي رأيا آخر في "رواية تروﻻر" فقد صرّح صاحبها:" إنّها نص سياسي يهدف إلى انتقاد الدولة المستبدة بما تعنيه من انعدام للحرية ورفض تام للمبادئ الديموقراطية التي تكرّس الحقّ الطّبيعي للشّعوب في اختيار حكامها"[18] فهي رواية تتحدّث عن وقائع دارت أحداثه في العاصمة "الجزائر" بالضبط بالحي الشعبي العاصمي "تروﻻر"، حيث ركّز الأديب على رصد الواقع المهمش للجزائريين، ففي خطاب سمير قسيمي في رواية "سلالم تروﻻر" تبرز الكثير من القضايا والقيم ذات البعد الإنساني في ثنايا الأحداث من أول مواجهة، حيث ناقش بعض القضايا المشتركة بين الشعوب ونجدها عند كل إنسان مهما اختلف عرقه ودينه ولونه.

والميزة المشتركة بينها أنها قد ذكرت الجانب السلبي لهذه المشتركات الإنسانية، حين يكون الوهم قرين كل شيء في حياة الشعب الجزائري. وتعدّ القيم الإنسانية " نوع من الرابط بين الأمم لأنها تعبر عن البشرية مهما اختلفت في لغتها وثقافتها، وتساهم بذلك في جعل العمل أكثر عالمية"[19]، وفي خطاب سمير قسيمي في رواية "سلالم تروﻻر" يمكن التمثيل لها بعدة نماذج منها، **"وهم الحرية"** رغم أن الحرية هي مشترك إنساني، فهي حق من الحقوق وواجب على الدولة أن توفره لكل مواطن، لكن الواقع الجزائري يؤكد أنه لا وجود لمثل هذا المعنى في قواميسهم، فقد حاول سمير قسيمي من خلال تشكيله لمدينة تختفي فيها جميع الأبواب فجأة، بحيث ينمحي ذلك الخط الفاصل بين الخفي والظاهر، أن يكشف فظاعة السلطة والواقع، من خلال خلقه لشخصيات روائية قبيحة، سواء في شكلها أو أخلاقها أو عيشتها، لتعكس كل شخصية زاوية معيّنة للواقع الجزائري القبيح.

فيعود الكاتب ليمثل لنا حقيقة أخرى للواقع الجزائري، ممثلة في شخصية "جمال حميدي" و"الرجل الضئيل"، فمن خلال لعبة سردية عجيبة، فضحت كل مستور تغطيه الأبواب، حيث فاجئنا الكاتب بالاختفاء المفاجئ لكل الأبواب في المدينة، "احتاج جمال حميدي إلى خمس دقائق فقط منذ استيقاظه، ليدرك بأن اختفاء النوافذ

والأبواب لم يقتصر على شقته فحسب، بل امتدّ إلى كلّ نوافذ وأبواب حيّه"[20].

هذا الاختفاء المفاجئ لأبواب المدينة جعل الجميع يهرع لعميد البوابين "جمال حميدي" لعلهم يجدون جوابا مقنعا يُذهب خوفهم وصدمتهم، لينقلنا هذا إلى وهم آخر يرتبط بوهم الحريّة، هو **"وهم الجواب" ووجود الحل"**، "ولكن جمال حميدي كان من الذّكاء والفطنة، بحيث أدرك أن مواطني المدينة الدّولة لا يحتاجون إلى إجابات، بقدر حاجتهم إلى رجل يُوهمهم أنه يملك تلك الإجابة"[21].

فرغم انتماء "جمال حميدي" الرّجل القبيح المشلول إلى طبقة الأوغاد أي الطبقة الثانية، فالناس في هذه الدولة مصنفون صنفين "أنعم الله على الأولى بنعمة الفهم والنطق والكلام، فتجدها تتكلّم وتأمر وتوجّه، وحين تقتضي الضرورة تصرخ وتهدّد وتسبّ. وهي كائنات شبيهة بها، لم توجد إلا لتتبول على الأوغاد الذين سيشكرونها لاحقا على نعمة المطر. وكائنات أخرى أميل للحمق والبُكم والسّكوت، مهمّتها تلقّي الكلمات، والإذعان للأوامر فحسب"[22].

إلاّ أنّ أحد الآلهة استدعته هذا الرّمز الإحالي الذي اعتمده الكاتب ليمثل السلطة في هاته المدينة، ممثلة في "الرجل الضئيل" المهندس الأوّل، هذا الرّجل الذي يتحكم بمصائر الجميع في هذه الدولة، استدعاه لأنّه من النوع الذي يفضل، فأعلمه بأنه معجب بجرأته حين وقف أمام الكاميرا "لتوهم الناس أنك تملك حلولا لمشاكلهم"112، فقد كان خلاصا من نوع ما سماه في الأخير سياسة، فعندهم "كل رجل يملك قدرة على الإيهام يسمى سياسيا"113.

فهذا الاستدعاء المفاجئ لرجل كجمال حميدي من طرف الآلهة بعد حادثة اختفاء الأبواب لم يكن إلا بسبب التوتر الذي انتشر بين الآلهة وأنصاف الآلهة، فهم "عادة ما يكتفون بالبقاء في أعالي المدينة، يراقبون من فوق ما يحدث في العالم السفلي. كانت هذه أوّل مرّة يشعرون فيها بالخوف، وكان شعورا غريبا بالنّسبة إليهم"65، ليؤكد أن هذا الخوف لم يكن على أموالهم أو بسبب الفوضى في البلاد فـ"ما كان يخيفهم حقا، هو اختفاء ذلك الخط الوهمي الذي يفصل عالمهم وعالم الأوغاد. وهو خط احتاجوا لرسمه إلى عقود من الوهم والدم والأكاذيب"65، ولكي تنجوا الآلهة من هذا الخوف اضطرت لتتعامل مع شخص من الأوغاد، شخص بنظرهم يملك بعضا من صفات السياسي، ليكون الرئيس الجديد للدولة، بخطة ذكية "فكل ما يحتاجه الشعب هو رجل كجمال حميدي يشبههم في العاهة"146.

فبالإضافة إلى كونه عميد البوابين في البلد وأنه مقعد ومشلول" هي صفة تجعله أكثر قربا من شعب، لم يعد يثق كما كان سابقا في الكائنات الممتازة والرجال الخارقين الذين فشلوا في حكمه لعقود"146، وبذلك يضمنون عودة الاستقرار للبلد فـ"هم على يقين بأنهم يخاطبون شعبا ابتكروه"65، ليتابع الأديب تقديم وهم آخر يرتبط بالحرية كثيرا، هو وهم الاختيار.

فبالضرورة كلّ شخص حر له الحق في اختيار من يرأسه ويكون حاميا لبلده حسب معايير محدّدة وعهود سامية يقدمها هذا المختار لشعبه، ليسلط سمير قسيمي الضوء على هذه النقطة المصيرية، **"وهم الاختيار"**، وهو ما حدث فعلا فجمال حميدي رجل اختارته الآلهة قبل أن يختاره الشعب، ليدرك جمال هذه الحقيقة الخطيرة حين راح الرجل الضئيل يحاول تلقينه دروسا في السياسة، لخّص له حقيقة الواقع حيث قال "إنّ الواقع مهما بدا مغريا، ليس إلاّ وهما ترسمه أصابع رجال، فهموا بأنّ الشّعوب غير

قادرة على مواجهة الواقع الحقيقي، لذلك فمن الأفضل لها أن تعيش في واقع موازٍ، يُوهمها بأنّها جزء من الواقع، يجعلها تتوهّم أنّ بمقدورها تقرير مصيرها واختيار حكّامها والأديان التي تعتقد أنّ الإيمان فقط ما قادها إليها."[23]

ليشرح له أن الواقع الموازي فن خلقوه هم وفي أحيان كثير يصدقون هذه الأوهام ويعيشونها، وهذا الوهم والاختلاق والكذب هو "مجرّد رحمة بشعوب ستضطرّ للانتحار إذا ما واجهت واقعا مختلفا عن واقعها الموازي". ص114، هكذا صوّرت لنا هذه المقاطع فظاعة السياسيين والأوهام التي يحيكونها لتخدير الشعب، فمصطلح الحرية وكل ما يدخل في حقلها الدلالي مصطلحات "لم تكتب قط في قواميس المدينة ـ الدولة...يكتبون "حرية" ينطقون "حرية"، ولكنهم ـ في عقولهم وقلوبهم ـ يعرفون أنّها مجرد وهم".ص52.

فالحرية وهم تنتجه عقولنا فقط لا وجود له في الواقع، وبالتالي هي مقاطع أحالت على أنّ الشعب يعيش في عالم أساسه الأوهام، وهم فيه مجرد لعبة "قاراقوز" تتحكم بهم السلطة من بطونهم، واختفاء الأبواب وسيلة ابتكرها الأديب ليكشف الوقائع المستورة والمخبوءة التي يجهلها الشعب والتي يجب أن يُصدّق بوجودها. وتأكيدا لما سبق يعلق الناقد عبد الغني بن بوزيد عن الرواية قائلا: "سلالم ترولار، منفيستو سياسي كتبه سمير قسيمي في قالب سرد أدبي مدهش، ألبس فيه الواقع القبيح فانتازيا جميلة، لم تحكي فقط قصة الجزائر، بل تعدت إلى دولة لا يحلم مواطنوها إلا بيوم يحملون فيه صفة المواطن الإنسان"[24]. وهكذا يبدو أنّ سمير قسيمي مهووس بالسعي إلى إصباغ صفات ينتزعها من ذاته على الواقع المتردي والقبيح.

2.2.الواقع الاقتصادي الجزائري والإحالة على وهم الدّولة الغنيّة في رواية "سلالم ترولار":

لطالما ارتبطت بالمستوى الاقتصادي في مختلف البلدان العربية والعالمية مصطلحات أو شعارات غزت الفكر الإنساني كـ"الاكتفاء الذّاتي"، "الدولة الغنية "، بسبب توفر هذه البلدان إما على البترول أو مناجم طاقوية أو مناظر سياحية...، أوالكثير من المسميات الثروية التي تجعلنا نبني تصورا عن بلد ما أنه غني واقتصاده مزدهر، لكن هل فعلا الظاهر هو الباطن، هل غنى دولة ما يعني تحقيق الاكتفاء الذاتي لكل شعبها ومواطنيها، كالواقع الاقتصادي الجزائري.

لقد مَثّل هذا الجانب "قسيمي" في روايته من خلال شخصية "عصام كاشكاطي" الرجل الفقير المعدم أو كما "أطلقت عليه أولغا اسم **"رجل القمامة"** 43 المسن الذي يعيش في أزقة الشوارع ويقتات من حاويات القمامة بحي ترولار، حين لا يلتفت إليه أحد ولا يشفق عليه أحد، **"ليس لأنهم غير مبالين به، بل لإدراكهم اللاشعوري بأنها مسألة وقت ويلتحقون به، كانوا يمرّون به متحاشين النظر إلى وجهه، وكأنهم بطريقة ما، أدركوا أنهم حين يفعلون ذلك، فإنهم ينظرون إلى ما سيكون واقعهم بعد حين**".43

فخوفا من رؤية مستقبلهم فيه تجنبوه، فالكل يرى نفسه آيلة لنفس مصيره. في صورة درامية رهيبة يعكس لنا الكاتب ظاهرة اجتماعية إنسانية متفشية ليس في الجزائر فقط بل في كل العالم، التسوّل والتشرّد ظاهرة تعكس البؤس الإنساني، وقد اختار الكاتب "حي ترولار الشعبي، ليكون مسرحا لأحداث الرّواية، مترجما من خلاله المفارقة التي تشترك فيها الدّول العربيّة وحتى بعض الدول في العالم: **شعب فقير لدولة غنية**"[25]

فكيف لدولة غنية أن يتشرد مواطنوها ولا يجدون ما يقتاتونه، بل وأن هذا الأمر سيؤول إليه الجميع تدريجيا، ليعطي الكاتب مثالا آخر معتمدا فيه على أكلة شعبية جزائريّة، قد تبدو الفكرة ساذجة لكنها تحمل أبعادا تعكس تردي الواقع الاقتصادي في البلاد، حين يتكلم عن المحاجب ومراحل تطورها أو ترديها في الجزائر، فـ "المحاجب، هي أكلة جزائرية كثيرا ما وُصفت على أنها ترجمة غير وفية لما قد يعدّ في الجانب الآخر من البحر "بيتزا": عجينة محشوة بالطماطم والبصل. على الأقل بهذا كانت تحشى إلى أن اكتفى الناس بالبصل وحده لغلاء الطماطم التي ارتفعت مع جل الخضراوات إلى مرتبة الذهب... في زمن صارت فيه الطماطم تفاحا والكوسة في منزلة الكيوي"ص49.

مقطع يعكس غلاء المعيشة بطريقة ساخرة لواقع مؤلم فبعد أن كانت الفواكه غالية وهرب الناس للخضر ارتفعت الخضر وبلغت مصاف الفواكه بل قد تعدتها في أحايين كثيرة لتبلغ رتبة الذهب، فماذا سيأكل الشعب إذا؟ ومن أين سيأكل؟ وكيف سيعيش؟ وكيف يرضى بهكذا وضع؟

ليجيبنا الكاتب بجملة ساخرة غير أن معناها عميق جدا، حيث وصف شعب هذه المدينة والبلد بأنّهم "مواطنين بلا رأس، ممّن ابتكرتهم الحكومة حديثا، بحيث تحتل بطونهم أكبر مساحة من أجسادهم"63، فمهما تردَّى اقتصاد البلاد والعباد لن يتجرّأ أحد على النطق والمطالبة بحقوقه لأنّه شعب ابتكرته الحكومة، تتحكّم بمصيره وحياته كما تشاء، تغرقه في أوهام شتى، كوهم غلاء الأسعار ونقص المنتوج، لتخلق شعبا يتناطح ويتناحر من أجل قارورة زيت أو كيس من الدقيق أو غرامات من السّكر، شعب يفكر ببطنه فقط، شعب" **يعتقد الحياة وهو ميت**..."[26]فكيف لشعب لا رأس له أن يثور ويفكّر ويعيش.

3.2.الواقع الدّيني الجزائري والإحالة على وهم الاختيار العقائدي في رواية "سلالم ترولار":

إنّ الدّين هو دعامة الأخلاق، بحيث يعمل على تركيزها وتحكيم أصولها في المجتمع، وهو مشترك إنساني يتقاسمه كثير من البشر، فعلى الرغم أنّ لكل بلد في العالم دينا يختلف عن الآخر، إلا أن اختياره منوط بالشعب، عقيدة ودين يختاره ويؤمن به، دين يُقوّم الإنسان ويوضح له الحدود التي لا يجب خرقها، إلا أن "تقادم العهد على أزمان الوحي الأولى، وتطور المجتمعات الإنسانية، وتعقد حياة الإنسان بسبب عدة ظواهر كالحداثة وتشظياتها، والعولمة ومخلفاتها، والتكنولوجيا وتحدياتها، كثر الوقوع في المحظور"[27].

هذا الأمر الذي استفز الروائي العربي وبالخصوص الرّوائي الجزائري المعاصر، مثل سمير قسيمي الذي أحالنا على حقيقة كنا نجهلها، حقيقة لمحظور آخر، تكمن في أن الدين حرية شخصية كما تظن كثير من الشعوب، وأنّها هي من اختارت دينها بحكم قضية الإيمان والاعتقاد به، غير أن السلطة هي التي تختاره فهو حكم سياسي يخدمها، لذلك عمد الأديب على تصوير الواقع الديني الجزائري بطريقة ملحمية ساخرة، في رواية "سلالم ترولار"، حيث أدرج فكرة الآلهة مجسدة في شخوص السلطة، ففكرة الآلهة جاءت من خلال السيطرة التي تمثلها السلطة على الشعب معتمدة طريقة الوهم في اختيار دينها وعقيدتها، بتقسيمهم لآلهة وأنصاف آلهة، وهؤلاء الآلهة "عادة ما يكتفون بالبقاء في أعالي المدينة، يراقبون من فوق ما يحدث في العالم السفلي "65.

فرغم أن الصورة تبدو جريئة وصادمة إلا أنها حقيقة الواقع الديني في

أوطاننا، حيث ربطوا الجنة والجحيم بالبشر وأنها أماكن صنعوها بأيديهم وأوهموا الشعب بقيمتها، كأن جعلوا الشعب يؤمن أنّ الجنّة ليست " إلاّ حيا راقيا يقذف بالتافهين والأوغاد... ويكون الجحيم أي مكان آخر من "المدينة الدولة"، غير هذا الحي الراقي بفضل آلهة لم تكن في البداية تزعم أن تسيّر الرياح أو شيئا من هذا القبيل"، فتشكّل شعبا "ممّن مسختهم الآلهة الجديدة إلى مواطنين بلا رأس، تحتل كروشهم أكبر مساحة من أجسادهم"[28]، فهي آلهة مسخت عقول الشعب، وجعلتهم مجرد أجساد خاوية لا دين ولا منطق يسيرها إلا منطق آلهة مدينتهم، حيث تقمصت دور الآلهة بامتياز حين تتحكم " في مصائرهم: حياتهم وأرزاقهم. وأحيانا حين تشعر بالحنين إلى أسلافها من الآلهة القديمة، تستحضر بعضا من قدرتها، فتمنح الموت والحياة. "[29]

وهذه أكثر الأفكار جرأة في هذه الرواية فكرة الموت والحياة، فهي آلهة لا تمنح الموت والحياة للبشر فقط، بل تعدت الفكرة إلى ما هو أعظم، حين يقتل سمير قسيمي الإله الحقيقي (الله) بين سطور الرواية، مجسدا فكرة "نيتشه"، فموت الإله هنا ضمّنه رمزا يحيل به على موت الإيمان داخل قلوب الشعب، وبدأ هذا الموت الإيماني من يوم قررت الآلهة ـ السلطةـ عدم موت الرئيس "الزومبي"، الرئيس المقعد المشلول الذي لا يستطيع الكلام ولا الحركة، كما يوضحه هذا المقطع "تناقص عدد المؤمنين بوجود هذا الكائن الأسمى وهم يرون قدرة الآلهة الجديدة على تهميشه دون أن يتمكن من فعل شيء، ثمّ وفي اللحظة التي تمكنت فيها هذه الآلهة من قهر الموت بفضل إلهها الزّومبي المستمر في الحياة رغم صدور قرار موته من السّماء، توقف الجميع على الإيمان بالكائن الأسمى الذي لآلاف من السنين، لم يقدر أحد على رد قضائه."48

فالإنسان منذ الأزل يؤمن بالملموس والظاهر، وهذا الحدث المفاجئ زاد الشعب خوفا ورهبة واحتراما لآلهتهم، ويطال تحكّم الآلهة بمصير الآلهة الأخرى كالرئيس الزومبي، فـ "في لحظة اختارها الأرباب بعناية توقّف عن الظهور، لتحلّ محلّه صورة كبيرة في إطار ذهبي، كانت تُعلّق في كل مكان، يُفترض أن يتواجد فيه، حتى ساد في اعتقاد الناس أنّه منشغل بمشاكلهم، إلى درجة أنه لم يعد بمقدوره الظهور"66 .67

وراح الكاتب يبرر هذا الموقف بأسلوب كوميدي ساخر ليطعم به إيمان هذا الشعب بكل شيء رغم وضوح الأمر وحقيقته 67"فحتى الله وهو الله، لم يظهر لأحد بوجهه، واكتفى لهداية الناس بما كان يرسل إليهم من رُسُل وأنبياء، يحملون كلمته الطاهرة وكُتُبه المقدّسة." إلاّ أنّ صورة القدسيّة والألوهية والرّبوبية التي كانت يستحيل الوصول إليها ولا رؤيتها، كُسرت بفعل حادثة اختفاء الأبواب فجأة في كل المدينة، واختفى الخط الفاصل بين الآلهة أو السلطة والشعب أو صنف الأوغاد، ممّا اضطر الآلهة للنزول من علياء السماء إلى الأرض "ومثلما ظهر ابن هو المسيح، وشريك هو روح القدس، ظهر للإله الرئيس إخوة وشركاء. بشكل أو بآخر، حدث في المدينة الدولة ما لم يتوقعه أحد، حين نزل ملكوت السماء إلى الأرض، بكل ما فيه من عرش وملائكة وشياطين وجنّة وجحيم."[30]

فمن خلال كلّ هذه الفوضى والانحلال الخلقي الذي تعيشه المدينة راح الأديب يتساءل سؤالا في الصميم، "كيف كان الناس يؤمنون بوجود كائن أسمى على عرشه، ينظر إليهم من مكانه في السماء"47

فهو شعب لا زال يعيش في عصر الآلهة والإيمان بالملموس. "إنّه سرد الرغبة بصيغة وأنساق التعدد، يهيمن على أسلوبية هذا العمل المُختزل والمترع بحمولات إدانة التوظيفات الملغومة وغير البريئة للديني والسياسي."[31] إذا هو تمخض فانتازي يحاكي مسار العزوف الديني والجهل وقلة الإيمان التي استغلته السلطة لتتغلغل بقوة في مجتمع يمتهن القبح بمختلف أشكاله.

4.2.الواقع التّاريخي الجزائري والإحالة على وهم الحقيقة في رواية "سلالم ترولار":

إنّ لكلّ بلد تاريخا يمثّل هوّيته وأمجاده وأصله، ولقد ارتبط التاريخ بمختلف الفنون والآداب، حيث كان مادة دسمة تتغذى بها وتنتج من خلالها إبداعا يعبق بروح التاريخ، والرواية من بين أجرإ الفنون الأدبية التي تمثلت التاريخ وناقشته وتجرأت عليه و"يمكن القول إنّ علاقة الرواية بالتاريخ قد شهدت تغيّرا جذريا بعد أن فقد التاريخ قداسته وأصبح مجرد خطاب فاسحا المجال أمام تواريخ فرعيّة هي الأخرى قد تكون مخترعة أو ملفقة أو تخييليّة"، بهذا فقد التاريخ قداسته في أحايين كثيرة، حيث تمردت الرواية لـ" تفسح المجال بصورة أوسع أمام استقصاء تواريخ المقموعين والمقهورين والمهمشين والمهزومين الذين تجاهلهم التاريخ الرسمي الذي كان يكتبه الطغاة، والأسياد والمنتصرون عبر التاريخ."[32]

وهذا ما يؤيده سمير في رواية ترولار حين ترد مقاطع كثيرة يتحدث فيها عن تاريخ الجزائر، مصرحا أن حتى تاريخنا مزوّر، في مقطع حواري بين الكاتب وزوجته عن ابنه الذي اختار تخصص التاريخ لدراسته في الجامعة، "يوم أخبرني ابننا أن لديه هذا العام مقرّر التاريخ حزنت عليه. لم أخبرك. لم أخبره أيضا. حزنت أن يهدر طفولته على دراسة تاريخ، سيدرك لاحقا أنّه مزوّر، حكايات بطولات أسطوريّة. غسيل مخّ بدائي لا ذكاء فيه."104

ويتابع "الكاتب" حواره مع زوجته عن حقيقة أو مأساة الواقع الذي نعيشه، أننا نحن السبب وراء كل هذا، فـ"هل تعتقدين حبيبتي، بأن القدر ما جعلنا نعيش فقراء في هذا الوطن الغني؟ هل تعتقدين بأن الله سادي إلى الحدّ الذي يجعل منّا شعبا قاصرا هذا الوقت كله؟ أنا لم أعتقد ذلك يوما. يقيني، أننا نحن من اختار فقرنا وبقاءنا قصّرا، لمّا أضفينا القداسة على تاريخنا. نحن من خلق آلهتنا الجديدة، حين توهّمنا أنّ ثورتنا لم تُنجب إلا قدّيسين وأنبياء، أهديناهم هذا الوطن بثرائه وخيراته وشعبه."[33]

فالإيمان المطلق بتلك الصورة المثالية لثورتنا وتاريخنا جعلنا شعبا متراخيا إتكاليا، ويقرّ الكاتب "أنّ أفضل ما قد يحدث للشّعب هو أن يرى صورته في المرآة، ويكتشف حقيقة أنّه مجرّد شعب معوّق، يكفيه فقط أن يقرّ بذلك، ويتصالح مع حقيقته، ليعيش حياة أكثر سعادة مما عاشها حين كان شعبا خارقا، يملك ثورة وملايين الشهداء وتاريخا صنعته الآلهة"[34]. فهي دعوة للشّعب لأن يصنع تاريخه الآن، تاريخا حقيقيا بعيدا عن الخوارق والأكاذيب، تاريخا أكثر واقعيّة.

5.2.الاغتراب أو الإحالة على وهم الهويّة في الجزائر من خلال رواية "سلالم ترولار":

لقد استطاع الخطاب الرّوائي الجزائري المعاصر الخوض في غمار الهوية، وإضاءة جوانبها المعتمة، رافعا أزماتها نحو السّطح، والاغتراب من أهم المفاهيم التي رافقت الهوية، " وقد تناوله الفلاسفة منذ هيجل وماركس حتّى فلاسفة الوجود

المعاصرين، أمثال :سارتر ومارسال، وياسبرز، فالاغتراب هو الأكثر شيوعا والأكثر وقوعا"[35]

فقد سيطر الاغتراب على موضوع الهوية في الرواية المعاصرة بشكل ملفت حيث "يرى بعض الفلاسفة أنّ الهويّة مجرّد افتراض ميتافيزيقي، في حين أنّ كلّ إنسان مغترب بطريقة أو بأخرى، فالاغتراب على درجات من الشدّة، والإنسان الطبيعي هو الموجود بين قطبي الهوية والاغتراب ، وقد تتحوّل الهوية إلى اغتراب وتنقسم الذات على نفسها وتتحوّل ممّا ينبغي أن يكون إلى ما هو كائن، من إمكانية الحرية الداخلية، إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية، بعد أن يصاب الإنسان بالإحباط، والإحباط عكس التحقّق، وضعف الإرادة وخيبة الأمل وتخلّ عن الحرية"[36].

وبالتالي فالاغتراب هو أن تكون عكس نفسك، فتُطمس الهوية وتبحث الذات عن وجودها في الآخر، وتعد شخصيّة "الكاتب" في رواية ترولار رمزا يعكس تشتت الهوية في الجزائر، هاته الشخصية التي تمتلك موهبة في الكتابة الإبداعية، حيث يملك سبع روايات والكثير من الحلفاء والقراء والترجمات، إلا أنه لا يكتب باسمه، بل يسمح لشخص آخر بأخذ شهرته وأعماله، حيث." منح الكاتب نفسه اسما لم يولد به، وأهدى هذه لشخص آخر بأخذ شهرته وأعماله، حيث." منح الكاتب نفسه اسما لم يولد به، وأهدى هذه المدينة ــ الدولة، كاتبا متهورا، ممعنا في السمنة والقبح والغرور والوهم. منح هذا الوطن البائس كاتبا يشبهه في البؤس باسم "الرجل صاحب اسمه"52.

وهذا يجعله في كثير من الأحيان "يتفهّم ذلك الشعور الذي ينتاب الأسياد، الآلهة في المدينة الدولة"53يحس أنّه لا يختلف عن سلطة بلاده، حين يصبح هو الآخر إلها يتحكم في شهرة وسعادة الرجل الذي يحمل اسمه وعمله، يتمتع برؤية "إدمانهم لحياة لا يعيشونها. بشكل ما، أصبح الكاتب إلها. يملك دميته."53 فيعمد إلى طرح أسئلة تعبر عن تشتته وشعوره بعدم الراحة والضياع "ثم ماذا؟ ..لا شيء، ما زال الكاتب هو هو ..كاتبا متخفيا. اسما مجهولا، يستمتع بمشاهدة خلقه يتسلّق سلما، لم يبتكر من أجله"53.

ثم ما يفتأ أن يمل من هذا الدور حيث "أصبحت فكرة بقائه في الظّل تؤرّقه وتجعله يفكّر في سؤال لا يصحّ أن يطرحه على نفسه أيّ إله: "ما جدواي"؟، وإن كان إله متربصا، لم يعتد بعد على علو الشّرفات"54، ثم انتقل إلى طرح سؤال وجودي يحاكي التوتر والضياع داخله، ما جدواه؟، من هنا" تبدأ معاناة الإنسان وتتكون النواة الأولى للاغتراب عن الذات، فالتناقض الصارخ بين ما تريده الذات وبين ما يريده العالم الخارجي، هو مدعاة لانفصام المرء وتشظيه."[37]

وهذا ما جسّدته المقاطع الأخيرة في الرواية، حين يرسم الكاتب هوية كل جزائري على أنها انعكاس لصورة زنجي اسمه "غريجا"، "حينها وفي تلك اللحظة فقط، أدرك الكاتب الحقيقة التي جعلته يشعر سابقا بتلك الألفة الغريبة التي لطالما تملّكته كلما نظر إلى صورة الزنجي التي اقتناها من بائع التحف القديمة في تقاطع شارعي بيجو وديزلي، لم تنطق الصورة وقتما أصرّ على سؤالها من قبل، وما كانت لتفعل، فقط لأنها كانت صورته وصورة كل واحد من المدينة الدولة"[38].

فمن خلال نهاية كسرت أفق التوقع لدى كل قارئ للرواية حيث يتحوّل الكاتب لزنجي

"وبيديه المرتعشتين أخذ الكاتب يتحقق من وجهه من غير أن يرفع بصره عن المرآة. فجأة، خرج من الحمام مهرولا إلى غرفة نومه... ينظر إلى نفسه في مرايا خزانة نومه. وفي انعكاسه كان هو لكن، بوجه رجل زنجي، بأنف عريض، وجبهة ضيقة. ثمّ وبتسليم لواقع أبشع من أي خيال نظر مجددا إلى صوره على الحائط، كان هو أيضا، ولكن، بوجه غريجا، حتى زوجته كانت في الصورة امرأة سوداء."162

وما إن خرج للشرفة حتى أدرك أن الجميع يحملون نفس ملامح الزنجي غريجا وليس هو وحده "حينها وفي تلك اللحظة فقط، أدرك الكاتب الحقيقة التي جعلته يشعر سابقا بتلك الألفة الغريبة التي لطالما تملّكته كلما نظر إلى صورة الزنجي ...فكما تنأى البديهية عن كل إثبات، لم يكن هو أو أي أحد من المدينة الدولة ليسأل عن حقيقة كانوا مقتنعين في أعماقهم بها، وهي أنهم عبيد في دولة، تمتهن النخاسة."163

وتأكيدا لهذا القول نجد مقطعا آخر يؤكد فكرة العبودية التي تحد هذا الشعب، حين يزور الكاتب مدينة مرسيليا، ويلتقي بفاني، الفتاة المرسيلية، وفي خضم حديثهما اكتشف حقيقة أخرى أنهم شعب يعيش وهم الإنسانية ووهم المواطن، فحين تخبره فاني أنهم سيتظاهرون اليوم تنديدا بشلل البلدية وتقاعسها راح يحاور نفسه "تتظاهرون؟ ..تُنَدّدون؟ ..يا إلهي، هل تحتفظون هنا في قواميسكم بمثل هذه الكلمات؟ هناك، لا أصوات في حناجرنا. يمكن أن نصرخ. يمكن أن ننبح أيضا، ولكن، بلا صوت؟"92

هي مقولة تعكس قمة الخوف والعبودية للشعب الجزائري فلا يحقّ له أن يتظاهر أن يصرخ أو يتكلم، فهم لا يرتقون لمصاف البشر، فهم مرة أجساد بلا رأس تأخذ بطونهم أكبر مساحة من أجسادهم، والآن هم كلاب يحق لها أن تنبح لكن في صمت. فالمشترك بين الشخصيات في الهوية هو اغترابهم الذاتي، الذي تفرضه سوء الأوضاع في البلاد، فلا هوية تجمعهم إلا القبح -الخُلقي والأخلاقي-، والاستسلام للواقع المرير، والصمت، والعبودية والتهميش بسبب التعتيم السياسي واللامبالاة، إلاّ أنّ الكاتب لا يتوقف هنا بل يعطينا الحل بطريقة غير مباشرة، وذلك حين تسامح مع نفسه وسمح لعقله بأن يستوعب أخيرا حقيقته وحقيقة الواقع الذي يعيشه"إذ ذاك شعر الكاتب بالسكينة، بمجرّد أن تصالح مع ذاته. لم يعد خائفا كما كان من انعكاسه، وقد عاد إلى حاسوبه، وظهر له أن روايته انتهت بمجرّد أن رأى نفسه كما يجدر بأي عبد أن يرى ذاته"164

وكذا بحركة أخرى تكمن في الاعتراف بالذات من خلال مقطع يوضح الخطوة الأولى لعودة وعي الكاتب ومحاربته لواقعه الوهمي، حيث كانت أول خطوة اعتمدها كثورة على ما كان يعيشه هو وضع اسمه الحقيقي تحت عنوان روايته، والاعتراف بوجوده ككيان كإنسان كمواطن كمبدع يحق له أن يضع اسمه على الصفحة الأولى من روايته وليس اسم شخص آخر فـ "حين انتهى من روايته الجديدة وحان وقت وضع اسم المؤلف "هذه المرة بدا الاسم وكأنه اسم غير حقيقي، ومن دون معنى. ابتسم وقد خطر على باله أن يعوّضه باسمه الحقيقي، تماما كما ظهر بوجه غريجا الذي لم يكن إلا وجهه...محا اسم الرجل صاحب اسمه، وكتب مكانه اسمه وهو ينظر إليه لأوّل مرّة في بداية كتاب، لم يعتقد أن بمقدوره كتابته بهذه الطريقة"164

فأولى خطوات التحرر من أوهام المثالية هي الاعتراف بالواقع كما هو ومحاولة إصلاحه، ليس بالدعوة إلى الإصلاح فقط، بل البداية تكون من أنفسنا، فالإصلاح يبدأ بإصلاح النفس قبل إصلاح الغير، هي إذا رواية ذات رؤية استشرافية لانفجار صرخة شعب عاش في الوهم طويلا، وهاهي ذي أسماء رمضان تصف هاته الرواية بالملعونة في قولها:" تكتسب رواية "سلالم ترولار" لعنتها، إنها عمل غرائبي غير منطقي وكأن الكاتب استعان بالفانتازيا ليخبرنا بشكل غير مباشر أن الواقع السياسي الجزائري أكثر فنتازية، ورغم أن العمل كُتب قبل حراك الجزائر، فإن قراءته خلال الحراك يجعلك

تشعر وكأن الرواية تنبئية"[39].

فالرّواية في صفحتها الأخيرة تضع تاريخ اتمامها في جانفي 2019م، أي قبل شهر تقريبا من انطلاق تظاهرات "يوم22فيفري2019م، حيث بدأت التّظاهرات الضّخمة وقد شملت كامل التجمّعات السكنية الكبيرة في الجزائر. والمعروفة بالحراك الشّعبي وقد اندلعت للمطالبة في بادئ الأمر بعدم ترشّح الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" لفترة رئاسية خامسة"[40]، فكانت الرواية بطريقة عجيبة مرآة لأحداث الواقع الجزائري في تلك الفترة ورؤية استشرافية لثورة شعب أبى أن تقوده دمية متحجرة، وسلطة تقودها آلهة ما وراء البحر، فهي رواية" تشعرك بألم الوطن المغتصب الذي أحسن الكاتب وصفه في شخوص تشبه المسوخ، نسج من خلالها نصا ما بعد حداثي يستشرف الثّورة".[41]

وهكذا "كانت رواية سمير قسيمي التي كُتبت عن الهامش وفيه، ما يجعله أكثر الرّوائيين الجزائريين قدرة على سبر أغوار النّفوس البائسة، التي جسدتها شخصيات تشترك جميعها...في وصف القبح"[42]، فالقبح صفة سلبية تشترك الإنسانية في كرهها ونبذها، فهي تمثّل أعمق المحطات التي يحاول الإنسان الهروب منها دوما، ولكن قسيمي بجرأته وبالقبح الذي في النفوس والعالم **"**قرأ مستقبلا يحدث اليوم**".**

IV -الخاتمة:

إنّ ما تقدمه رواية "ترولار" التي كتبها الأديب الجزائري سمير قسيمي، ليس مجرد توثيق لواقع اضطهاد الشعوب في أوطانها، بل سردا دراميا لأوهام ما وراء الأبواب، بقدر ما هي فانتازيا سردية تتماهى مع لبّ لغة الضاد وتنتصر للمشترك الإنساني، متخطية فخاخ الكلاسيكيات الحكائيّة المقيدة بانحسار الخطاب المنحاز للتستر والخوف من السلطة، كون هذا المنجز الباذخ والعميق أول ما قصف هذه التباينات والمفاضلات السياسية والدينية والتاريخية الضيقة سواء في الجزائر أو العالم أجمع، محتفيا بهوية إنسانية لامّة ورؤية استشرافية ثورية جريئة .

إنّ الإحالة على المشترك الإنساني الديستوبي في رواية ترولار جعلها تصنف للعالمية لأنها كانت أكثر مصداقية وواقعية في سبرها لأغوار واقع الإنسان المضطهد في بلاده.

إنّ العلاقة بين الواقع الجزائري الديستوبي كمرجع في الرّواية ومختلف الشّخصيات الرّوائيّة كعبارات إحالية، هي علاقة مصطنعة حيث عبث الكاتب بالصورة الحقيقية بعد تمثّلها تمثّلا جيدا، فيحيلنا إلى عالم لا يمكن التأكّد من حقيقته إلاّ ضمن علاقة أخرى تكون بين الكاتب والمتلقّي ضمن لعبة السّرد حتى نفكّ مختلف شفرات الإحالات المدمجة في النّص الرّوائي.

من هذه الدّراسة يمكن أن نقترح دراسات أخرى منها: تجليات الثالوث المحرم في رواية سلالم ترولار، وكذا سيميائية القبح في رواية ترولار.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

سمير قسيمي. سلالم ترولار، منشورات البرزخ، الجزائر، ط1، 2019م.

المراجع:

1-حسنين حسن حنفي. الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.
2-راغب السرجاني. المشترك الإنساني نظرية جديدة للتقارب بين الشّعوب، مؤسسة اقرأ للنشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.
3-عصام سليمان. مدخل إلى علم السياسة، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1989م.
4-فاضل تامر. التأريخي والسردي في الرواية العربية، دار الروافد الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، دس.
5-محمود الضبع. الرواية الجديدة-قراءة في المشهد العربي المعاصر-، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2010م.
6- يمنى العيد: فن الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

المقالات:

1-حمزة قريرة. العالمية والبعد الإنساني في روايات أمين الزاوي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، سبتمبر2018م، ع35.
2- خليفة عوعاش: المرجع والإحالة في النّص الرّوائي، مجلة الممارسات اللّغوية، الجزائر، 2014م، مج5، ع2.
3- عزة شبل محمد أبو العلا: أنماط الإحالة وجدائل الخطاب في النّص الروائي، مجلة كلية الآداب للغويات والثقافات المقارنة، القاهرة مصر، 2020م، مج12، ع2.
4-هاجر مباركي، محمد سعيدي. إشكالية الهوية في الرّواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟، العلامة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، ع6، جوان، 2018م.

المداخلات:

1-سعيد يحيى. الفضاء التاريخي والبحث عن الهوية المفقودة في "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، (تونس: ندوة الرواية والمرجع بمدينة مدنيين التونسية، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنيين، ـأيام 24-25/نوفمبر2017م).

أطروحة دكتوراه:

1-توام عبد الله. دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية، رواية "الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى "لعبد الرحمن منيف أنموذجاً، جامعة وهران، أحمد بن بلة (1)أطروحة دكتوراه، غير منشورة، 2016م.
2-صياد مليكة. المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة أمين الزاوي وآيا جبار أنموذجا(أطروحة تدخل ضمن متطلبات الدكتوراه ل م د)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2018م/2019م.

المواقع الإلكترونية:

1-أحمد الشيخاوي. رواية "تيانو" أو نوفيلا المشترك الإنساني، مجلة نقش الثقافية، naqsh.info، 2022/4/6م، 14:01.
2-أسماء رمضان. رواية "سلالم تروﻻر".. إعادة كتابة التاريخ الجزائري عبر الفانتازيا، noonpost.com، 2022/4/5م، 13:33.
3- زاهر محمد حنني. شعرية الفضاء الروائي في (وريث يافا) للمتوكل طه، رأي اليوم(صحيفة عربية مستقلة إلكترونية)،raialyoum.com، 11:53، 2022/03/18م.
4-عبد الغني بن بوزيد. رواية سلالم تروﻻر مانفيستو سياسي بسرد أدبي مهمش، alketaba.com، 2022/4/6م، 13:36.
5-عمران عبد الله. التحديات الجمالية والأخلاقية للكتابة الأدبية.. الرواية العالمية نوع أدبي جديد أم صنعة رأسمالية؟، شبكة الجزيرة الإعلامية،2022/4/9م، 17:23.
6-مصطفى عطية جمعة. الرّواية العربية بين النظرة الشّمولية والجزئية، موقع القدس العربي، alquds.co.uk ،2022/4/6م، 12:17.

الهوامش:

1. راغب السرجاني، المشترك الإنساني نظرية جديدة للتقارب بين الشّعوب، مؤسسة اقرأ للنشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2011م، ص132.
2. عمران عبد الله، التحديات الجمالية والأخلاقية للكتابة الأدبية.. الرواية العالمية نوع أدبي جديد أم صنعة رأسمالية؟، شبكة الجزيرة الإعلامية،2022/4/9م، 17:23.
3. بتصرف. مصطفى عطية جمعة، الرّواية العربية بين النظرة الشّمولية والجزئية، موقع القدس العربي، alquds.co.uk ،2022/4/6م، 12:17.
4. محمود الضبع، الرواية الجديدة-قراءة في المشهد العربي المعاصر-، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2010م، ص92.
5. عزة شبل محمد أبو العلا، أنماط الإحالة وجدائل الخطاب في النّص الروائي، مجلة كلية الآداب للغويات والثقافات المقارنة، القاهرة مصر، 2020م، مج12، ع2، ص106.
6. المرجع نفسه، ص106.
7. مصطفى عطية جمعة، الرّواية العربية بين النظرة الشّمولية والجزئية، موقع القدس العربي، alquds.co.uk ،2022/4/6م، 12:17.
8. عزة شبل محمد أبو العلا، أنماط الإحالة وجدائل الخطاب في النّص الروائي، مجلة كلية الآداب للغويات والثقافات المقارنة، القاهرة مصر، 2020م، مج12، ع2، ص106، 107.
9. ينظر: يمنى العيد، فن الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص30.
10. الجدير بالذكر أنّ رواية "سلالم تروﻻر" "وصلت للقائمة الطويلة للجائزة العالمية للرّواية العربية "البوكر" بدورتها لعام 2020م، ولم تكن العمل الأوّل للكاتب الذي يصل للقائمة الطويلة للبوكر، حيث وصلت روايته الثّانية "يوم رائع للموت" لقائمة البوكر الطويلة عام 2009م"(أسماء رمضان، رواية "سلالم تروﻻر ".. إعادة كتابة التاريخ الجزائري عبر الفانتازيا،

noonpost.com، 5/4/2022م، 13:33.)
11. خليفة عوعاش، المرجع والإحالة في النّص الرّوائي، مجلة الممارسات اللّغوية، الجزائر، 2014م، مج5، ع2، ص127.
12. المرجع نفسه، ص127.
13. زاهر محمد حنني، شعرية الفضاء الروائي في (وريث يافا) للمتوكل طه، رأي اليوم (صحيفة عربية مستقلة إلكترونية)، raialyoum.com، 11:53، 2022/03/18م.
14. توام عبد الله، دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية، رواية " الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى "لعبد الرحمن منيف أنموذجاً، جامعة وهران، أحمد بن بلة (1) أطروحة دكتوراه، غير منشورة، 2016م، ص121.
15. [1] -خليفة عوعاش، المرجع والإحالة في النّص الرّوائي، ص127.
16. سعيد يحيى، الفضاء التاريخي والبحث عن الهوية المفقودة في "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، (تونس: ندوة الرواية والمرجع بمدينة مدنيين التونسية، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنيين، بأيام 24-25/نوفمبر2017م)، ص74، 75.
17. عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص10.
18. عبد الغني بن بوزيد، رواية سلالم تروﻻر مانفيستو سياسي بسرد أدبي مهمش، alketaba.com، 2022/4/6م، 13:36.
19. حمزة قريرة، العالمية والبعد الإنساني في روايات أمين الزاوي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، سبتمبر2018م، ع35، ص910، 911.
20. سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، منشورات البرزخ، الجزائر، ط1، 2019م، ص63.
21. سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، ص64.
22. المصدر نفسه، ص35.
23. سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، ص114.
24. عبد الغني بن بوزيد، رواية سلالم تروﻻر مانفيستو سياسي بسرد أدبي مهمش، alketaba.com، 2022/4/6م، 13:36.
25. بتصرف، عبد الغني بن بوزيد. رواية سلالم تروﻻر مانفيستو سياسي بسرد أدبي مهمش، alketaba.com، 2022/4/6م، 13:36.
26. سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، ص34.
27. صياد مليكة، المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة أمين الزاوي وآيا جبار أنموذجا (أطروحة تدخل ضمن متطلبات الدكتوراه ل م د)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2018م/2019م، ص أ.
28. سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، ص66.
29. المصدر نفسه، ص35.
30. سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، ص66.
31. أحمد الشيخاوي، رواية "تيانو" أو نوفيلا المشترك الإنساني، مجلة نقش الثقافية، naqsh.info، 2022/4/6م، 14:01.
32. فاضل تامر، التأريخي والسردي في الرواية العربية، ص19.
33. سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، ص105.

34.المصدر نفسه، ص160.
35.حسنين حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ص11-، 12.
36.المرجع نفسه، ص11، 12.
37.هاجر مباركي، محمد سعيدي. إشكالية الهوية في الرّواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟، العلامة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، ع6، جوان، 2018م، ص138.
38.سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص163.
39.أسماء رمضان، رواية "سلالم ترولار".. إعادة كتابة التاريخ الجزائري عبر الفانتازيا، noonpost.com، 2022/4/5م، 13:33.
40.احتجاجات الجزائر2019 م، ويكيبيديا الموسوعة الحرّة، http://www.ar.m.wikipedia.org ، 2022/4/5م، 13:44.
41.سمير قسيمي، سلالم ترولار، الغلاف الخلفي للرّواية.
42.بتصرّف، عبد الغني بن بوزيد. رواية سلالم ترولار مانفيستو سياسي بسرد أدبي مهمش، alketaba.com، 2022/4/6م، 13:36.